فقد اتضح مما تقدم ان كل ما تشتد فيه الحياة كالصحة واكمال النمو ونشاط الاعضاء واكمال الجهاز العصبي يكثر معه تكوّن المادة الملونة فيشتد بكثرتها اللون وبالضد من ذلك ما تضعف الحياة كالهرم والمرض ونقص التكوين والخمول فانهُ بقلل المادة الملونة فيضعف اللون او يعدمها فيعدم اللون

الاَّ انهُ في بعض الاحوال يرى الضد مما تقدم اعني رسوب المادة الملونة او زيادة تولدها لسبب مرض الجسم غير ان ذلك في الظاهر فقط وقد ردَّهُ المدققون الى الحكم الذي تقدَّم ذكرهُ ولم نتعرَّض لما ذكروهُ من هذا القبيل فرارًا من التطويل

التلقيح في الهواء الاصفر

لجناب الدكتور جبائيل ماريا

علم قرَّاء المقتطف الكرام ان الدكتور كوخ الالماني اكتشف منذ سنتين سمَّ الهواء الاصفر وسمَّاهُ "الباشلس الضمّي" وقد ورد تفصيل هذا الاكتشاف في احد اجزاء هذه المجلة الغرَّاء[1] فاجتزأت عن اعادة ذكرهِ خوف التطويل الاَّ اني لم ارَ بدًّا من تذكير المطالعين ان الباحثين ما زالوا من ذاك الوقت يتحرَّون التجارب ويحاولون إحداث وسيلة تقي الناس من شرّ هذا الداء الفتَّال حتى شاع حديثًا خبر التلقيح في اسبانيا وسنبيطهُ طبيب من اطباء تلك البلاد يدعى الدكتور فرَّان قال انهُ اتصل الى تضعيف باشلس الهيضة الى حدّ يقوى من بعدهِ على ادخاله في جسد الانسان فيعافى من الاصابة بالعلَّة الاصليَّة . وله على ذلك كلام طويل كتب اود اثباتهُ برمتهِ لولا اني رأيتهُ مدرجًا في الجرائد السياسيَّة التي لا يعوَّل عليها في انتقاد المسائل العلميَّة وتمحيص الآراء العلميَّة

ومحصَّل ما في ذاك الكلام جملة امور . الاوَّل ان التلقيح الواقي من الهواء الاصفر مبنيٌّ على تعاليم علميَّة لا يمكن ابضاحها للجمهور . الثاني ان هذا التلقيح مأخوذ من المبادئ العلمية التي اوجدها العلامة باستور وجرى عليها في اكتشاف طعم ضربة الطحال في الغنم وهيضة الدجاج والكلب . الثالث ان هذا التلقيح بالنسبة الى سائر انواع التلقيح غير كافل للوقاية العامة من الهيضة الوبائية وانما يجعل الاصابة بها خفيفة ويدفع الهلاك . الرابع ان مدة الوقاية محدودة فلا يقال بان التلقيح يقي من العلَّة وقاية دائمة وبناء عليهِ يحسن ان يتلقَّح الانسان مرات عديدة اثناء

(١) المقتطف انظر وجه ٦٥ وما بعدهُ من السنة التاسعة

الوافدة . الخامس ان التلقيح يستغرق وقتاً معلوماً حتى يؤثر تأثيرهُ الواقي ولذلك اذا أُصيب الانسان بالحمة قبل مرور خمسة ايام من دخول اللقاح في جسدهِ فإصابتهُ خارجة عن تأثير التلقيح الواقي . السادس ان تنشي المرض في محل لا يمنع من التلقيح في ذاك المحل بل بالاولى يزمدهُ لزوماً وهذا مطابق لما يعرف عن التطعيم بالجدري البقري . السابع ان التلقيح بهذا اللقاح المأخوذ من مادة الحمة لا يكون البتة سبباً لحدوث الهواء الاصفر . الثامن ان كل الوسائط المستعملة حتى الآن لمنع انتشار الوباء لا تتكفل بالوقاية من شرهِ مثل التلقيح . انتهى

ومن الغريب ان هذه الآراء انتشرت في اسبانيا في برهة وجيزة وقبلها الاسبانيون من غير روية ولا امعان واخذوا يتواردون على فرّان من كل فج طالبين ادخال اللقاح في ابدانهم فراراً من الوقوع في تلك العلة الشديدة التبريح . وجعل فرّان واتباعهُ يجولون في اقطار البلاد يلقحون الناس افواجاً وفي معتقدهم انهم رسل الانسانية اصطفاهم الله من بين خلقهِ وخصهم بنعمهِ ليكونوا ملجأً للساكين والمعرّضين لشدائد هذه السنة . ومن المعلوم ان مثل هذا الصنيع لو كان مبنياً على اسس صحيحة راهنة لكان من اعظم المبرّات ولكن الطريقة التي اتخذها فرّان لاذاعة صيتهِ وتعميم فوائد عملهِ من مثل نشر آرائهِ في الجرائد السياسية وبعثهِ بالرسل الى البلدان والامصار يبيعون اللقاح ويحرزون بهِ الذهب الوضاح قلّلت ثقة العلماء بهِ فطلبوا من حكومتهم استجلاء حقيقة الخبر عن مسألة التلقيح الشائعة في اسبانيا فارسلت كل حكومة لجنة من نُطس اطبائها تتفحص اعمال فرّان المذكور . والذي علمناهُ ان تلك اللجن لم تستحسن اعمال فرّان بل عدتها اوهاماً اخرجها من حيّز التصوّر الى حيّز الفعل من غير داعية الحقيقة طمعاً بالربح واحراز المال .

واذا طالعنا تقارير الاطباء الذين قصدوا اسبانيا رغبة في استكشاف حقيقة التلقيح ظهر لنا صدق هذا القول . فمن ذلك ما كتبهُ برواردل زعيم الوفد الفرنسوي في عريضة رفعها الى وزارة المعارف في فرنسا قال فيها : « ان الدكتور فران رفض اطلاعنا على حقيقة الوسائل التي يستعملها لتضعيف باشلس الهواء الاصفر ومنعنا من درس اللقاح الذي يحقن بهِ الاجسام على امل وقايتها من ذاك الداء الفظيع . اما آراؤهُ بخصوص صفة الباشلس وحالهِ دم الحيوانات الملقحة فلا يعتمد عليها لانها كثيرة الاختلاف شديدة الاشكال فضلاً عن ان الآنية والادوات التي في معملهِ لا تفي بلوازم درس المكروب . والذي ظهر لنا ان تلقيح الانسان والحيوان بذاك اللقاح لا يحدث شيئاً من الاعراض الدالة على ضعف باشلس الحمة ولكنهُ غير مضر بالانسان . واذا نظرنا في احصاء الوفيات في اسبانيا رأيناهُ كثير الالتباس . أمّا اولاً فلأن احصاء الشعب الاسباني لم يزل غير مضبوط واما ثانياً فلأن القوم يجتهدون كثيراً في اخفاء المخوفين بالهواء الاصفر . وما افاض فيهِ

فران واتصاره على احصاء المتوفين بالنسبة الى عدد الملقحين اكثر التباساً واقل ضبطاً من غيره وكيف كان الحال فقد تبيّن لنا ان التلقيح لا يقي من شرّ تلك العلّة الفتالة وكل ما قُدّم لنا من البراهين لاسناد مذهب فران كان واهياً ولذلك لا يُعوّل برأيه في حال من الاحوال. ولا يخفى ان اكتشاف تضعيف سموم الامراض كان ولا يزال من احسن المكتشفات الموقوف عليها نجاح الطب في اواخر هذا العصر الاّ ان التعويل على كل رأي ومذهب من هذا القبيل لمجرّد ما يشيع عنه غير مأمون من الخطاء. ومتى شاء الانسان الخروج من النظريات الى العمليات واستعمال التلقيح اوقاية الناس من الامراض المهلكة لا يسوغ الاعتماد على عمله الاّ بعد البراهين الساطعة والادلة القاطعة. فاننا نعلم ان جنّر مكتشف التطعيم بالجدري البقري استراب من اكتشافه تسع سنوات قبل ان تجاسر على تطعيم جيمس فيبس في ١٤ ايار سنة ١٧٩٦ ولم يبرح من بالنا ما شاهدناهُ مراراً من تردّد العلامة باستور والاتعاب الكثيرة التي عانا ها قبل ان اقدم على اثبات مذهبه في تضعيف الحمات المرضية. ومع ذلك فانهُ كان يتحرّى التجارب في الحيوانات ويستطيع اعادتها بلا انقطاع ولم يجرِ ادنى تجربة في الانسان لاعتقاد ان التجارب في الانسان تستدعي ضميراً طاهراً لا يقوم الاّ بمجانبة كل ما يفضي الى الاضرار بالحياة. ومن الامور المهمة في المسائل التي تمسّ الحياة البشرية ان تكون الطريقة العلمية بالغة درجة الكمال وان يكون العالم العامل بها كثير التثبّت نيّر البصيرة والظاهر ان الدكتور فران تعامى عن اهمية هذه الحقيقة فخرج دفعة واحدة من حيّز التجارب والابحاث العلمية الى ظل ما يسميهِ الناس "العمل"

هذا هو ملخص تقرير احد مشاهير هذا العصر ولا ريب انهُ ينزع الاوهام من عقول السذّج الذين يزعمون ان مسألة الهواء الاصفر اصبحت قليلة الاهمية بعد اكتشاف الدكتور فران وقد كُتب هذا التقرير على اسلوب بسيط يستفاد منهُ ان صاحبهُ تحرّى فيهِ نصرة العلم وتعزيز جانبهِ ولم يغفل عن ايضاح الحقائق التي يجب مراعاتها في الابحاث العلمية المختصة بحياة البشر متى اراد الانسان الخروج فيها عن حد التصور الى جانب العمل. وكل ذلك مخالف لما رآهُ من اعمال فران في قضية التلقيح الواقي من الهضة الوبائية

وقد قيل ان فران طلب الى جمعية العلوم في باريز ان تثيبهُ بالجائزة المعدة لمن يكتشف دواء فعالاً للهواء الاصفر وقدرها مئة الف فرنك فقبلت الجمعية بذلك على شرط ان يأتي العاصة ويثبت عمله بالحجة القوية والبرهان السديد. وتأييداً لذلك عيّنت لهُ معملاً خاصاً واعدّت فيهِ كل ما يحتاج اليهِ من الحيوانات وعينت لجنة مؤلفة من ثلاثة من اعضائها لمراقبة كل التجارب بغاية الدقة والاتقان. وقيل ايضاً ان باستور لما قدّم عريضة برواردل السابق

ذكرها الى المجمع العلمي قال لاعضائه "اذا صحّ ان الدكتور فران اوجد طريقة لوقاية الانسان من شرّ الهواء الاصفر فهو في غنًى عن امضاء الوزارة لاحراز الجائزة اذ الانسانية باسرها تتكفل له باستحصال الغنى الادبي والمادي معًا"

وقد وقفت مؤخرًا على تقرير الدكتور ارمخن مندوب اللجنة فرأيت فيه وصف اعمال الدكتور فران بالتفصيل وربما لخصته في فرصة أخرى تكملة للفائدة وبالله التوفيق

المصريون القدماء

لجناب الدكتور يوحنا ورتبات

عضو المجمع العلمي الجراحي في ادنبرج وجمع الامراض الوافدة في لندن وطبيب مستشفى امراء مار يوحنا في بيروت

ان علمنا بتاريخ المصريين القدماء قد زاد كثيرًا على علم مَنْ تقدمنا لكثرة ما كشفه الباحثون في ايامنا من الغوامض التي خفيت على من تقدمنا كعلوم المصريين وصناعتهم وديانتهم وآدابهم وتاريخ تمدنهم الى غير ذلك مما صار مجموعهُ يُعَدُّ علمًا قائمًا برأسهِ وقد أُفردت لتدريسهِ مناصب خاصة في كثير من المدارس الكبرى في زماننا. وهو يسمّى عند الفرنسيين والانجليز ايجبتولوجيا وهي لفظة مركبة معناها "علم مصر" لان مدار البحث فيهِ على كل ما اختص بمصر والمصريين في قديم الزمان. ولا حرج في عدّ ذلك علمًا قائمًا برأسهِ فان قِدَم عهد المصريين وفخامة مبانيهم وعظمة هياكلهم وكثرة نقوشهم وكتاباتهم التي قاومت يد الدهر فنوبت عليها وحفظت لنا ما أُودع فيها من اخبار اهلها واحوالهم ومعاشهم وحكمتهم وديانتهم هذه ومثالها هي من اشهر الغرائب التي شاعت في هذا العصر واجدرها بان يحث عنها ويُمعَن النظر فيها

وقبل ان نتعرّض لذكر شيء من ذلك نشير الى هيئة بلاد مصر وما اختصّت بهِ من الاوصاف. فالمتأمل في خريطتها يرى نهر النيل المعدود من اكبر انهار العالم يخترقها من الجنوب الى الشمال فيرويها ويغنيها عن الامطار التي قلّما تقع فيها ويتراكم فيها كل سنة ما يحملهُ من الغثاء (الطمي) فيجيد تربتها ويسهل حراثتها حتى ان الفلاح يستغل منها بالتعب القليل اضعاف ما يستغلهُ غيرهُ من غيرها بالتعب الكثير. وبعد ما يخدمها بذلك كلهِ يصبُّ ما تبقّى منهُ